التكافل الاجتماعي في الديانات الثلاثة/دراسة نقدية

قدمه

أ.م.د .عبد هادي القيسي

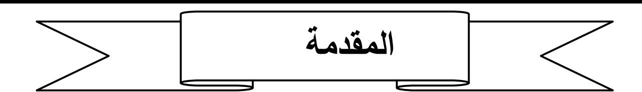
جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية – قسم أصول الدين

التكافل الاجتماعي في الديانات الثلاثة/دراسة نقدية

ملخّص البحث

اراد الباحث أن يقدم محاولة لتبين اسس التكافل الاجتماعي، لتقوية عرى الاخوة بين المجتمع ، ونشر اسباب الرحمة في قلوب افراده .

وقد سلك الباحث فيه مسلكاً قريباً الى النفوس محبباً الى القلوب ، فأستقصى الادلة في كل وضوح ، وبين التكافل في الديانات السابقة للإسلام لكي يرفد البحث برافد مقارن يوضح كيف ارتقى الاسلام بالمجتمعات الانسانية الى اعلى المستويات .



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين.

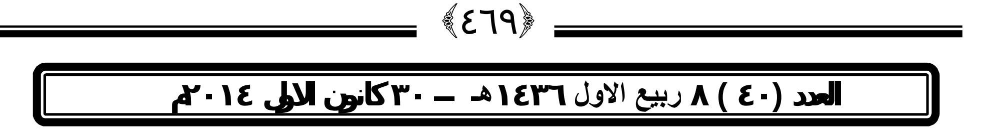
كانت الروابط بين افراد المجتمع البدائي الواحد، ترتكز على المنفعة الى حدٍ بعيد. ولذلك كان الناس آنذاك لا يعطون المفاهيم القيمة حقها من التقدير بقدر ما يعطون مصالحهم ومنافعهم ، لذلك شاع ايام الاغريق الاولى مبدأ السوفسطائيين الذين قالوا: ان هذا خير ما دام هو كذلك بالنسبة إليك ولو أضر بالمجموع، وهذا شرُ مادام هو كذلك بالنسبة اليك ولو كان خيراً بالنسبة للناس اجمعين. كما كانت العصبية العائلية القبلية، لا يحيد عنها على اي حال ؛ باطلاً كان او حقاً، خيراً كان او شراً حتى انتشر فيهم هذا القول انصر اخاك ظالماً او مظلوماً، وكان قول شاعرهم :

وما انا الامن غزية إن غوت   غويت وان ترشد غزيةُ أرشدِ[١]

الى ان جاءت الشريعة الاسلامية واتجهت في كل احكامها الى تحقيق الاهداف التي تؤدي الى تكافل اجتماعي سليم قائم على الائتلاف والتهذيب الديني والعدالة التي لا تكون فيها قوة تتغلب على الاخرى .

والعبادات هي التي في ظاهرها علاقة العبد بربه، ولكن هي في معناها تربية الضمير الاجتماعي الذي يجعل الآحاد مندمجين في الجماعات ويعيشون بقوة روحية تحكم ميولهم وارادتهم وتوجه عقولهم، فيتحقق التكافل نفسياً قبل ان تتدخل القوانين التي لها مبررها من الاسلام، اذا كانت في ظل احكامه .

ونحن ليس بصدد التكافل العبادي الاجتماعي بل بصدد التكافل المالي الاجتماعي الذي ينبعث من النفس ابتداء اجدى على المجتمع من التكافل بقوة القانون من غير اعتماد على الايمان والضمير الديني، إلا أن ما يبنى على القانون قد يوجد في النفس ما يبرر مخالفته ، اما ما يعتمد على الضمير الديني اولاً ثم على القانون ثانياً ، فإن



المؤمن يطيعه على انه امر من الله الذي يعلم السر واخفى ، وان ذلك لايسوغ له الهروب من الاحكام المقررة بحكم القانون

فالتكافل في الاسلام اولى دعائمه القلوب ، وما يبنى على القلوب يكون له البقاء ، وما يبنى على الرسوم والاشكال والمظاهر فإنه يزول وينتهي .

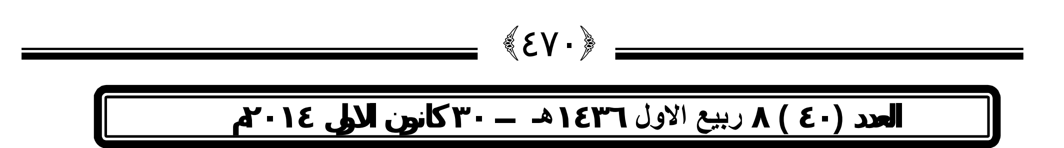
وما لهذا الموضوع من اهمية في المجتمع فأني قد تكلمت عن التكافل في اليهودية ثم التكافل في المسيحية ثم تكلمت عن التكافل في الاسلام ثم اعقبت ذلك بخاتمة بينت فيها اهم النتائج .

اهداف البحث

اردنا أن نتقدم بمحاولة تبين هذا الموضوع وتكشف عن نظام من نظم الاسلام المالية_ اجتماعية التي جاء بها لاصلاح المجتمع ، وتقوية عرى الاخوة بين ابنائه ، ونشر اسباب الرحمة في قلوب افراده .

وقد سلكت فيه مسلكاً قريباً الى النفوس محبباً الى القلوب ، فأستقصيتُ الادلة في كل وضوح ، وبينتُ التكافل في الديانات السابقة للاسلام لكي أرفد هذا البحث برافد مقارن يوضح كيف ارتقى الاسلام بالمجتمعات الانسانية الى اعلى المستويات .

وبينتُ فيه أن الاسلام هدم الاسس التي كانت ترتكز عليها الروابط الاجتماعية بين الافراد في الجاهلية التي ادت بقوانينها وعاداتها الى سلب حقوق البعض على حساب البعض الاخر ، واقام الاسلام مقامها أُسساً جديدة وأرسى قاعدة عظيمة كانت المجتمعات الانسانية تفتقدها ألا وهي قاعدة الاخوة والمحبة على اساس الدين لا على اساس النسب والدم .



التكافل الاجتماعي في الديانات الثلاث

الديانات السماوية الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام ، لاتقِرُ الظلم الاجتماعي بين ابناء المجتمع ، بل تساعد الفقير ولاتتركه عرضه للحرمان والاهمال والمهانة ، وتوصي ببرهم ودفع غائلة الجوع والعُري عنهم ، وكذلك تُنهي عن اذاهم وظلمهم في أي حال من الاحوال .

والديانات تختلف في الطرق التي سلكتها من اجل رفع ذلك الظلم بل انها تريد مساعدتهم في جميع احتياجاتهم ، وأن يتكفل المجتمع بتلك الفئات الضعيفة التي لا طاقة لها بسد احتياجاتها بنفسها .

وبعد ذلك سأبين النصوص الواردة في الديانتين اليهودية والمسيحية كلُ على حده، اما الاسلام سأجعله مستقلاً وفيه نوعاً من التفصيل .

اولاً في اليهودية

اليهود بدورهم حرفوا الكلام عن مواضعه فكل ما ورد عن انبيائهم من تعاليم بشأن مساعدة الفقير والتعاون بين المجتمع كانت تعاليم انسانية النزعة وعامة لجميع الناس ، الا إن اليهود قصروها على عنصرهم وأبناء دينهم فقط ، ومن تلك النصوص:- ما جاء من وصايا الله لموسى التي أُمر بتبليغها لبني اسرائيل (لا تقرض أخاك بربا: ربا فضة او ربا طعام او ربا شيء ما مما يقرض بربا، للأجنبي تُقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا...)(٢).

وعلى ضوء هذا النص نستطيع أن نفهم الوصايا الواردة بشأن الفقراء والمساكين من أنها خاصة باليهود دون غيرهم ، وهذا يدل على تعاون اليهود فيما بينهم في جميع بلاد العالم على نهب واستنزاف اموال الشعوب بطرق مختلفة .

وإن اليهود لم يتقيدوا بتعاليم توراتهم فيما يتعلق بالعطف على فقرائهم وابنائهم ، بل كانوا فيما بينهم قساة غلاظ وقد خالفوا انبيائهم بشكل لا مثيل له، فغضب الله عليهم

وعاقبهم لتلك المخالفة، وساذكر بعض النصوص التي تتعلق بالفقراء ورعايتهم والعطف عليهم واعانتهم ، فهي تعاليم صحيحة جاء بها انبياء بني اسرائيل عامة وليس خاصة ، ولكنهم قصروها على انفسهم ، ولم يعملوا بها[٣].فهذه النصوص تصرّح بالأمور الاتية:-

١- هناك نصوص تدلُ على الاحسان للفقراء والمساكين والعطف عليهم : (افتح يدك لأخيك ، المسكين والفقير في أرضك)[٤]،(اقضوا للذليل ولليتيم ، أنصفوا المسكين واليأس ...)[٥].

٢- نصوص تدلُ على الثواب لمن يرحم الفقير : (من يَرحم الفقير يُقرض الرب ، وعن معروفه يجازيه)[٦]،(ظالم الفقير يعيّر خالقه ، ويمجد راحم المسكين)[٧]،(أقضي بالعدل وحامِ عن الفقير والمسكين)[٨] .

٣- النهي عن الاساءة الى الفقير وظلمهُ:(إن رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل من البلاد فلا ترتع من الأمر لان فوق العالي عالياً)[٩] ،(فلا تُقسِّ قلبك عليه ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير بل أفتح يدك وأقرضه مقدار ما يحتاج اليه)[١٠]، (ولا تسلب الفقير لكونه فقيراً ، ولا تسحق المسكين في الباب ، لان الرب يقيم دعواهم ويسلب سالبي أنفسهم)[١١].

٤- جاء في التوراة ما يرغب المنفق على الفقير بالسعادة والثواب وترهيب المعرضين عنهم بالعقاب : (من يعطي الفقير لا يحتاج ولمن يحجب عنه عينيه لعنات كثيرة)[١٢]،(أن تدخل المساكين التائهين الى بيتك ،إذا رأيت عرياناً أن تكسوه ...)[١٣]،(الملك الحاكم بالحق للفقراء يثّبت كرسيه إلى الأبد)[١٤].

٥- التنديد بالأغنياء الظالمين والاشرار وبالذين يعتمدون على ثرواتهم ويتفاخرون بها:(ظالم الفقير تكثيراً لماله ، ومعطي الغني إنما هو للعوز)[١٥]،(لماذا أخاف في أيام الشر عندما يحيط بي إثم متعقبي الذين يتكلون على ثروتهم وبكثرة غناهم يفتخرون)[١٦]. وقد



ورد في التوراة بشأن الاغنياء الاشرار القول:(يغتصبون قطيعاً ويعونه ، يثتاقون حمار اليتامى، ويرتهنون ثور الارملة، يصدون الفقراء عن الطريق...)[١٧].

٦-الحث على عناية اليتيم والارملة والغريب من بني اسرائيل: ففي بيان أعمال الرب (يعضد اليتيم والارملة)[١٨]، وفي اعمال الخطاة المتكبرين(يقتلون الارملة والغريب ويميتون اليتيم)[١٩]،وفي وصف القضاة والكتاب الظالمين: (لتكون الارملة غنيمتهم وينهبوا الأيتام)[٢٠]،وجاء في التوراة عنهم: (لاتظلموا الارملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير)[٢١].

فهذه النصوص وغيرها كثير تحث بني اسرائيل على ترك الرذائل والعمل بالفضائل، والاحسان للفقير ومساعدة المحتاج لان المال الذي أعطاه الله للبعض فهو إمانة عندهم ،وأن يعطوا منه الى من يحتاج ويساعدوا الفقير والارملة والذليل، وبذلك يكون المجتمع متعاون على الخير ونبذ الشر، ويكون افراده كالصف الواحد متحابين يساعد أحدهم الآخر، ويبتعدون عن الظلم. لكن بني اسرائيل لم يعملوا بهذا بل حرفوا الكلم عن مواضعه، فتركوا الضعيف يموت والمحتاج يهلك، بل سرقوا ونهبوا الأموال وخالفوا أوامر الله عز وجل وكذبوا الرسل، وجعلوا أنفسهم شعب الله المختار وغيرهم لا حياة له.

لكن هذه النصوص لم تجد اذان صاغية من بني اسرائيل لانهم اخذوا بما يروق لهم ويتماشى مع مصالحهم ، لذلك نجد ان مصلحة بني اسرائيل الشخصية مقدمة على اي مصلحة اخرى حتى ولو تخالف النص الشرعي المقدس، قال تعالى ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ [٢٢] لذا نجد حرصهم هذا يجعل مصلحتهم مقدمة على غيرهم، وقال تعالى ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [٢٣] .

ثانياً :- في المسيحية

أُرسل المسيح(عليه السلام) الى اليهود وقد طغت عليهم الماديات وتركوا شرائع الله عز وجل التي أوصاهم بها الانبياء، حتى أصبحوا في عصر المسيح(عليه السلام) في منتهى الحرص على جمع المال، وكان ما لأغنيائهم من قسوة القلب وموت الضمير، ورجال دينهم لا يألون جهداً في تحريف الشريعة وأحكامها لجمع المال لصالحهم، وأصبح في عهد الرومان المجتمع مقسم على طبقتين: طبقة الأغنياء والأشراف، وطبقة الفقراء المحرومين من الكرامة وأبسط حقوق الإنسانية[٢٤].

فجاء المسيح(عليه السلام) بوصايا ومواعظ ودعوات تدعو الى الرحمة بالفقراء والضعفاء والمساكين والمحتاجين وتحث على التعاون بين افراد المجتمع ليعيش الحياة السعيدة أفضل مما كان عليه سابقاً ومن تلك الوصايا والدعوات مایاتي :

١- الدعوة للرحمة بالبؤساء والضعفاء والمساكين(طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون)[٢٥].

٢- من قدم العون للفقير وأطعمه فجزائه على الله (تعالوا يامباركي أبي، رثو الملكوت المقّدم لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني، وعطشت فسقيتموني، كنتُ غريباً فأويتموني وعرياناً فكسوتموني....)[٢٦].

٣- الحث على الصدقات والترغيب بها:(بيعوا أموالكم وأعطوا صدقة)[٢٧]،وجاء في الإنجيل (قال يسوع إن أردت أن تكون كاملاً فأذهب وبع املاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنزاً في السماء....)[٢٨].

٤- الحث على الإحسان للفقراء: كما جاء في الإنجيل (فقال يسوع: لان الفقراء معكم في كل حين وأما أنا فلست معكم في كل حين)[٢٩]، لأنه يحث على العطف على الفقراء لانهم يعيشون في وسط هذا المجتمع.



٥- الدعوة الى الرحمة والتسامح والمسالمة :(طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون)[٣٠]، وجاء في الإنجيل(إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه: ياأحمق يكون مستوجب نار جهنم)[٣١]،(لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ايضاً)[٣٢][٣].

ومن هذا يتضح أن السيد المسيح(عليه السلام) أراد أن يعالج سلبيات ذلك المجتمع، كما ورد في الإنجيل من مشكلة الفقر ومساعدة الفقراء ،والتعاون على كل فعل خير ،والابتعاد عن إكتناز الأموال، وترك الفقراء محرومون منبوذون من ادنى حقوق الإنسانية، وتلك التعاليم كان لها الأثر في تغير المجتمع الى الافضل، ولكن بني اسرائيل لم يسمعوا الى ما جاء به المسيح(عليه السلام) كعاداتهم السابقة من تكذيب وقتل الأنبياء وطعن بهم وما زادهم إلا نفوراً. فلم يتبع السيد المسيح(عليه السلام) إلا القليل وأما الكثير فإنهم كذبوه وألبوا عليه السلطات الحاكمة الرومانية، فبحثوا عنه إلى أن وجدوه وقتلوه أو صلبوه كما يقولون، ولكن الله يقول إنه رفعه اليه ، فشبهه لهم إنهم صلبوه كما قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[٣٣]

وقال تعالى﴿ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[٣٤]

وعلى ذلك فان بني اسرائيل لو اطاعوا سيدنا المسيح لسار المجتمع آنذاك الى الافضل نحو الازدهار ، لكنهم ابتعدوا وساروا الى الباطل فما زادهم الا خسارا.

ثالثاً :- التكافل الاجتماعي في الإسلام

نقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير، وان تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد، ودفع الضرر عنهم ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي، وإقامته على أسس سليمة [٣٥] ولعل ابلغ تعبير جامع لمعنى التكافل الاجتماعي قوله(ﷺ)(المؤمن

للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[36] وقوله(صلى الله عليه وسلم)(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا إشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[37].

والتكافل الاجتماعي في مغزاه ومؤداه أن يحسس كل واحد في المجتمع بأن عليه واجبات يجب عليه أداؤها، وإن تقاصر في أدائها، فقد يؤدي ذلك إلى إنهيار البناء عليه وعلى غيره، وأن للفرد حقوقاً في المجتمع ويجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذي حق حقه من غير تقصير ولا إهمال، وأن يدفعوا الضرر عن الضعفاء، ويسدوا خلل العاجزين، وأنه إن لم يكن ذلك تآكلت لبنات البناء، ولا بد أن يخر منهاراً بعد حين.

وإن التكافل الاجتماعي يوجب على القوامين توزيع الأعمال بمقدار المواهب والقوى وتعرف قوة كل ذي قوة، ومواهب ذوي المواهب، ليعمل الجميع في إتساق، ويقوم المجتمع على ميزان ثابت يبين به عمل العاملين من غير إهمال لقوة عاملة، ولا إغفال لمقدرة خاملة.

وإن التكافل الاجتماعي يوجب أن يكون الناس جميعاً متساوين في أصل الحقوق والواجبات، ويوجب أن تكون نتائج العمال بمقدارها، فذو الكفاءة الممتازة يكون له من الثمرات بمقدار كفاءته، وذو الكفاءة المحدودة يكون له بمقدارها من غير تجاوز للحد ولا إنحياز له لأنه مقرب[38].

وإن التكافل يوجب سد حاجة المحتاجين ممن لايستطيعون القيام بعمل، ويسد عجز العاجزين، ويهيأ العمل للقادرين، ويربي النشء تربية تظهر القوى والمواهب، والذين يخرجون إلى الحياة، وقد فقدوا الآباء الذين يعولونهم، فإن التكافل يوجب العناية بهم ليكونوا لبنات قوية في بناء الجماعة، وإن الذين يعجزون بعد القدرة من العاملين فعلى المجتمع أن يسهل لهم الحياة جزاء ما قدموا من خدمات[39].

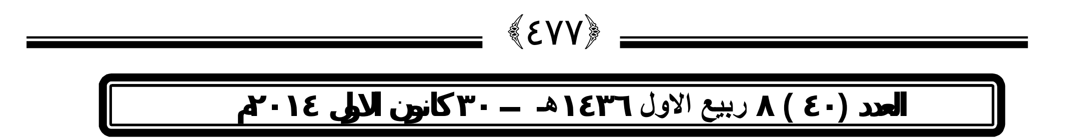
وسلك الإسلام سبيل التكافل الاجتماعي طرق واضحة ترتقي بالمجتمع الإسلامي إلى أفضل المستويات، فجعل التكافل بين الأسرة وبين الأمة وفي المجتمعات الصغيرة،

وبذلك له طرائق أربع:(أولها) نفقات الأقارب، و(ثانيها) الزكاة، و(ثالثها) التعاون في المجتمعات الصغيرة، و(رابعها) الكفارات والصدقات غير الواجبة وجوباً قانونياً[٤٠].

والإسلام يمتاز بسماحته ويسره وصلاحيته لكل زمان ومكان، ولكل فرد وجماعة، واستجابته الواعية لكل ما تقتضيه أحوال المجتمعات البشرية في مختلف ظروفها وعصورها. وهذا ليس تعصباً لهذا الدين العظيم، ولكنها الحقيقة الساطعة لمن يُبهر الحقائق ويدقق في المسائل.

والإسلام ليس فقط دين عبادة ومسجد بل هو دين شامل لشؤون العبادة ومصالح الناس في دنياهم وهو علاج لكل داء والمنقذ من كل شدة، وهو الذي وضع القواعد لجميع شؤون الحياة المادية والتعاون بين فئات المجتمع المسلم، فجعل للفقراء والمساكين حقوقاً معلومة في أموال ذوي الغنى كيلا يعصف الاملاق بمعاني الكرامة والاستقامة في نفوس الفقراء، فيتحولون إلى عوامل اذى وتدمير ومكامن سخط وبغضاء على مجتمعهم، وحتى لا يعصف غنى الاغنياء بمعاني الإنسانية في قلوبهم فيتحولون إلى أدوات باطشة تسيرها الأنانية واليد الأجنبية التي تستغل ذلك لتدمير المجتمع المسلم. وبذلك يكون المجتمع بين فقير محروم وغني بطرٍ، فإنه لن يكون فيه إلا القلق ولن يكون مآله إلا الانهيار. فإن جميع الحلول الوضعية والافكار الإنسانية التي عالجت هذه الناحية الخطيرة لم تستطيع أن تعالج هذه المسألة، لأنها تخدم فئة وتحرم الفئة الأخرى ولم يستطع إلا الإسلام معالجتها، لأنه قانون سماوي جاء لنشر الفضائل والإرتقاء بالمجتمعات إلى أرقى المستويات، وإنه لا يخدم فئة على حساب فئة أخرى[٤١].

والتكافل الاجتماعي لازم من لوازم الأخوة، وهو شعور الجميع بمسؤولية واحدة بعضهم عن بعض، وكل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ، فهذا قانون من قوانين الاجتماع الراقي، وعنصر من عناصر الحياة الطيبة، يتوقف عليه كمال السعادة، بل هو أساس في حياة الأمم وديمومتها وبقائها عزيزة كريمة قائمة بواجبها[٤٢].



وللتكافل صورتان:

الاولى:- الصورة المادية

سبيلها مد يد العون إلى المحتاج، وتفريج كرب المكروب، وتأمين الخائف، وإشباع الجائع، والمساهمة العملية في إقامة المصالح العامة، وجاءت آيات كثيرة تدلُ على التعاون المادي والحث عليه، وله اسماء كثيرة منها:

الإحسان، والزكاة، والصدقة، والحق، والانفاق، في سبيل الله، وعده فضيلة إنسانية وركناً من أركان الدين في جميع أصناف المال سواء كان في نقدهِ أم في زرعه ام في ما شيته أوجبه للفقراء على الغني لكي يسدوا حاجاتهم وازالة الفقر عنهم. وليجد الغني في ضميره ما يدفعه إلى الفقير من معونة أوجبها الإسلام له وبذلك يصبح المسلمون متعاونون في جميع مجالات الحياة.

ثانياً :- الصورة الأدبية او المعنوية

نعني بها تكافل المسلمين جميعاً وتعاونهم المعنوي بالتعليم والنصح والإرشاد والتوجيه[٤٣].وقد جاءت آيات واضحات في القرآن الكريم أسماء محببة إلى النفوس، و يغزي به النفوس والعقول، فسماه(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).فكلمة المعروف عنوان جذاب يجذب القلوب ويحمل على الأمر به، وكلمة المنكر عنوان للشر والفساد وأن تثار النفوس عليها، فالإسلام جعل هذا التكافل الأدبي فريضة لازمة على كل مسلم، بل جاء في القرآن الكريم ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[٤٤]، وقد صور الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وسلم) صلة المسلم بالمسلم بقوله:(المؤمن مرآة المؤمن)[٤٥]وقوله(صلى الله عليه وسلم)(الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...)[٤٦] ولهذه الصفات الكريمة لها أثرها في تقدم الأمة و إرتفاع شأنها بين الأمم، وذلك بنصح العالم للجاهل والكبير للصغير، والصغير للكبير، والمرؤوس للرئيس والمحكوم للحاكم، والكل يتقبل ذلك، متعاونون على الخير كأنهم جسدُ

واحد، فاستقامت لهم الامور وتقدمت بهم الحياة، فكانوا أقوى من غيرهم، يتعاونون على الخير يتناهون عن المنكر. وبقوا على ذلك إلى أن تغيرت نفوسهم وتمتعوا بالدنيا وملذاتها، وظنوها مادة عليها يتنافسون، ومالاً وجاهاً به يتفاخرون، تركوا تعاليم الدين وساروا وراء تعاليم الغرب التي بها تهدم المجتمعات وتزول الحضارات الصحيحة. والغرب أخذ منا الكثير وسار عليه من صدق واخلاص وتعاون ومحبة فأرتقى إلى أفضل المستويات وهبطنا نحن إلى أدنى المستويات لتركنا تعاليم الدين والقيم الصحيحة وسرنا وراء الدنيا وزخرفها، فوقعنا في ما وقع به بنو اسرائيل كما جاء على لسان النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) :(أن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول ياهذا أتقي الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه أن يكون أكيله وشريبهُ وقعِيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض)(٤٧).

وهذا تحذير من الرسول(صلى الله عليه وسلم) إلى الأمة الإسلامية لكي يكون المجتمع نظيفاً في مظهره لا تظهر فيه إلا الفضائل وتبتعد عنه الرذائل. ويسودهُ الأمن والأمان. وعلى ذلك فواجب المؤمنين أن يتضافروا في إيجاد مجتمع فاضل، ولا يسكت مؤمن منهم عن الدعوة إلى الحق، بل إن التكافل الاجتماعي الخلقي يوجب عليه أن يسهم في بناء المجتمع الفاضل، فيمنع شرهُ ويدفعه إلى الخير، فالتكافل الاجتماعي في الإسلام يدلُ على إيجاد مجتمع فاضل لا يظهر فيه إلا الخير والسعادة لجميع أفراده(٤٨).

فيرتكز التكافل الاجتماعي في الإسلام على بناء فكري متكامل له أساسه من العقيدة، ومن المنظومة الأخلاقية، فلم يكن تفريد هذا الحق للإنسان وليد تجارب بشرية فرضتهُ فرضاً، كما هو الشأن في نظم الضمان الإجتماعي الذي يسود العالم الحديث. فيمثل فكرة متقدمة تتجاوز مجرد التعاون بين الناس أو تقديم أوجه المساعدة عند عدم القدرة والحاجة لذلك(٤٩).

وإن المجتمع لن يكون سوياً قويماً، ولن يكون قوياً متماسكاً إلا إذا قام على أساس

من التعاون والتضامن والتكامل فيما بين أفراده، فسعى كل منهم في حاجة غيره، بنفسه وماله وجاهه، حتى يشعر الجميع أنهم كالجسد الواحد[٥٠]

وقال(صلى الله عليه وسلم)(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[٥١]. وقد يمرّ المسلم بضائقة مالية، فيحتاج إلى النفقة في حوائجه الأصلية من طعام وشراب ومسكن وعلاج وغير ذلك، فعلى المسلمين أن يسارعوا لمعونته، فيعطوه المال أو يقرضوه قرضاً حسناً، بدل أن يتخذوا عوزه وسيلة لتثمير أموالهم وزيادتها، كما هو الحال في مجتمعات الربا والاستغلال[٥٢] قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ ﴾[٥٣]، وقد نرى صورة من التكافل بين الناس عند المسلمين عن ابي موسى الأشعري(رض)قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم)(إن الأشعريين، إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم أقتسموه بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسّويّة، منهم مني وأنا منهم)[٥٤]. فياليتنا نعمل كما عمل الأشعريون، ولو فعلنا كما فعلوا، لما وجدنا أحداً من الناس يبحث في أكياس القمامة ليلاً عن كسرة خبز يابسة، أو أكلة يطعمها هو وعياله، وجاره أو قريبه يملك أموال قارون .

فضرورة التعاون بين شعوب العالم الاسلامي يكون مبنياً على اساسين البر الذي هو الخير والتقوى، فإن من الأولى أن نتعاون مع أناس من أهل الخير والتقوى، لا أن نذهب إلى غير بلاد المسلمين، فنفتتح المشاريع الإقتصادية الواحد تلوى الآخر بأموالنا ونُشغّل سكان تلك البلاد، فتنعدم البطالة عندهم، ويزدهر اقتصادهم، ويزداد دخلُهم، ويعمهم الرخاء، فلا نرى فيهم فقيراً ولا مسكيناً، أما في بلادنا فحدَّث ولاحرج عن البطالة والبطّالين فهم كثير[٥٥].

ومن ذلك فلابد من استثمار الأرصدة المالية العربية والإسلامية في مشاريع تنموية في داخل بلادنا العربية والإسلامية. لان النبي(صلى الله عليه وسلم)عندما هاجر إلى المدينة أسس سوقاً مستقلاً للمسلمين على غرار سوق بني قينقاع اليهودي يرتاده

المسلمون، فيستثمرون أموالهم ويتبادلونها في التجارة، فيتقوى الاقتصاد الإسلامي والعربي، وبذلك يعمُ الخير للناس ويقل الفقر والفقراء على مرّ الأيام وبذلك يزدهر المجتمع الإسلامي .

الخاتمة

بعد أن اكملت هذا البحث الموجز عن التكافل في الديانات الثلاثة، فقد توصلت إلى نتائج منها:

١- الديانة اليهودية قبل التحريف أرشدت الناس إلى التعاون والتضامن ومساعدة الضعيف، ولكن علماء بني اسرائيل حرفوا الكلم عن مواضعه، وبدأوا يجمعون الأموال لأنفسهم وترك الفقراء يهلكون .

٢- بنو اسرائيل قد أحبوا المال بل أصبح كل شيء في حياتهم، حتى كانوا يحتالون لجمعه، وكانوا يعملون بالربا لكي تزداد أموالهم، فغضب الله عليهم وشتت جمعهم وفرق كلمتهم.

٣- السيد المسيح(عليه السلام)جاء بالتعاليم من الله عز وجل، ولكن ذلك لم يرق لبني اسرائيل فخالفوه واذوه والبوا عليه السلطات الرومانية، فقبضوا عليه وقتلوه كما يدعون .

٤- بعد مرور الزمن غير أتباع السيد المسيح تعاليمه ساروا على ما سار عليه بنو اسرائيل. وكان لرجال الدين دور كبير في الاستحواذ على الأموال والأراضي بحجة تعاليم الدين وما تسير عليه الكنيسة .

٥- كانت المجتمعات الإنسانية تعيش في ضلال وحيرة من أمرها، فلا تعاون ولا تضامن ولا تكافل بين أفراد المجتمع آنذاك

٦- عندما جاء الإسلام غير وجه الحياة الإنسانية إلى أفضل، وقد نشر العدل والمساواة والتضامن والتعاون والمساعدة بين صفوف المجتمع الإسلامي الذي أصبح أنموذجاً لجميع المجتمعات الإنسانية .

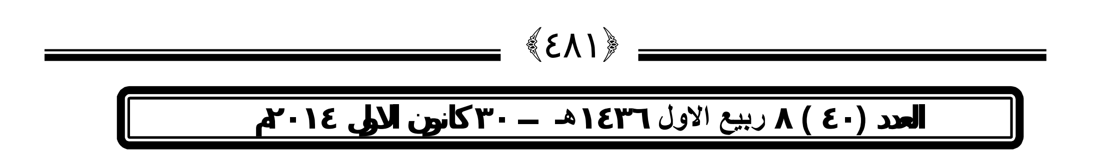
- التكافل في الإسلام يوجب أن يكون الناس جميعاً متساوين في أصل الحقوق والواجبات، ويوجب أن تكون نتائج الأعمال بمقدارها، وكلُ حسب كفاءته وقدرته وليس على حساب آخر .

٨- في التكافل سد حاجات المحتاجين ونشر التعاون والتناصر بين صفوف المجتمع الواحد. وعدم ترك الفقر يخيم على أفراد المجتمع المسلم .

٩- في التكافل يصبح المسلمون كالجسد الواحد إذا أشتكى منه عضوُ اشتكت جميع الأعضاء ،ويكون المسلمون فيه كالبنيان يشد بعضه بعضاً. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يساعدون الضعيف وينصرون المظلوم، وبذلك يكونون كما أراد الله عز وجل. وبذلك يرتقي المجتمع المسلم إلى أفضل المستويات .

١٠- إذا ما خالف المسلمون هذا فقد حذرنا الرسول(صلى الله عليه وسلم)من التفرق والضياع والخسران في الدنيا والاخرة، كما كان الحال في بني إسرائيل .

١١_التكافل الاجتماعي سبب من الاسباب تماسك المجتمع ووحدته وتحصنه من الجريمة والانحراف، لذلك اكدت تعاليم الإسلام عليه.



هوامش البحث

(١) محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، الصوارم الحداد القاضعة لعلائق ارباب الاتحاد ، تحقيق: محمد صبحي حسن العلاق ،دار الهجرة للطباعة والنشر ،١٩٩٠م ،ص٢٨ .

(٢) سفر التثنية ، الاصحاح ٢٣:الفقرة ١٩ .

(٣) ينظر:- د. مصطفى السباعي ، التكافل الاجتماعي في الاسلام ،ط١، دار الوراق، السعودية،١٩٨٨م،ص٣٣- ٣٤

(٤) سفر التثنية ، الاصحاح١٥ ، الفقرة ١١ .

(٥) سفر المزامير ، الاصحاح ١٣ ، الفقرة ٨- ١٢ .

(٦) سفر الامثال ، الاصحاح ١٩ ، الفقرة ١٧ .

(٧) سفر الامثال ، الاصحاح ١٤ ، الفقرة ٣١ .

(٨) سفر الامثال ، الاصحاح ٣١ ، الفقرة ٩ .

(٩) سفر الجامعة ، الاصحاح ٥ ، الفقرة ٨- ١٠ .

(١٠) سفر التثنية ، الاصحاح ١٥ ، الفقرة ٧- ٨ .

(١١) سفر الامثال ، الاصحاح ٢٢ ، الفقرة ٢٢- ٢٣ .

(١٢) سفر الامثال ، الاصحاح ٢٨ ، الفقرة ٢٧ .

(١٣) سفر اشعياء ، الاصحاح ٥٨ ، الفقرة ١٠ .

(١٤) سفر الامثال ، الاصحاح ٢٩ ، الفقرة ١٤ .

(١٥) سفر الامثال ، الاصحاح ٢٢ ، الفقرة ١٦ .

(١٦) سفر المزامير ، الاصحاح ٤٩ ، الفقرة ٥- ٦ .

[17] سفر ايوب ، الاصحاح ٢٤ ، الفقرة ٢-١٢ .

[18] سفر المزامير، الاصحاح ١٤٦ ، الفقرة ٩ .

[19] سفر المزامير، الاصحاح ٩٤ ، الفقرة ٧ .

[20] سفر اشعياء، الاصحاح ١٠ ، الفقرة ٢ .

[21] سفر زكريا، الاصحاح ٧ ، الفقرة ١٠ .

[22] سورة البقرة ، الاية ٩٦.

[23] سورة البقرة ،الاية ١٠٨.

[24] ينظر:- د.مصطفى السباعي ، التكافل الاجتماعي في الأسلام ، ص٤٠ .

[25] سفر متي ، الاصحاح ٥ ، الفقرة ٦ .

[26] سفر متي ، الاصحاح ٢٥ ، الفقرة ٢٤-٢٥ .

[27] سفر لوقا ، الاصحاح ١٢ ، الفقرة ٣٣ .

[28] سفر متي ، الاصحاح ١٩ ، الفقرة ٢١-٢٢ .

[29] سفر يوحنا ، الاصحاح ١٢ ، الفقرة ٨ .

[30] سفر متي ، الاصحاح ٥ ، الفقرة ٧ .

[31] سفر متي ، الاصحاح ٥ ، الفقرة٢١-٢٢

[32] سفر متي ، الاصحاح ٥ ، الفقرة ٣٩-٤٢ .

[33] سورة ال عمران ، الاية ٥٥ .

(٣٤) سورة النساء ، الاية ١٥٧ .

(٣٥) محمد ابو زهرة ، التكافل الاجتماعي في الاسلام ، دار القومية للطباعة،القاهرة،ص٧-٨ .

(٣٦) مسلم ،بن الحجاج ابو الحسن النيسابوري(ت٢٦١هـ)،الجامع الصحيح(صحيح مسلم)،باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم،٤٦٧/١٢، رقم الحديث ٢٥٨٥.

(٣٧) البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري(ت٢٥٦هـ)،الجامع الصحيح،الباب،رحمة الناس والبهائم،٤٢٦/١٨،رقم الحديث ٦٠١١.

(٣٨) ينظر:-د.حمد عبيد الكبيسي ومحمد عباس السامرائي ومصطفى الزلمي،المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية،ط١،دار المعرفة،١٩٨٠،ص٣٥٠

(٣٩) ينظر:-حسن خالد،الاسلام والتكافل المادي في المجتمع،منشورات عباد الرحمن،ص٧ .

(٤٠) محمد أبو زهرة،تنظيم الاسلام للمجتمع،ص١٤٠ .

(٤١) ينظر:-حسن خالد،الاسلام والتكافل المادي في المجتمع،ص٣-٤ .

(٤٢) محمود شلتوت ،الاسلام عقيدة وشريعة،ط٢،دار القلم،القاهرة،ص٤٥٥ .

(٤٣) ابو داود، ،السنن، باب الامر والنهي ، ج٤، ص٢١٣ ،رقم الحديث ٤٣٣٨ .

(٤٤) ينظر:-محمد ابو زهرة،التكافل الاجتماعي في الاسلام،ص١٢ .

(٤٥) ينظر:-عبد الله بن عبد المحسن التركي، حقوق الانسان في الاسلام،ط١،السعودية،١٤١٩هـ،ص٦٨ .

(٤٦) ينظر:المصدر نفسه ،ص٤٥٦ .

(٤٧) سورة ال عمران ،الاية ١٠٤ .

(٤٨) ابو داود، سلمان بن الاشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)،سنن ابي داود،باب في النصيحة والحياطة،٢٨٠،١٤، رقم الحديث ٤٩١٨ .

(٤٩) مسلم، الجامع الصحيح المسمى(صحيح مسلم)،باب الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر،ص٢١٢

(٥٠) حسام حميدة، في رحاب الاسلام، دار التوزيع والنشر الاسلامية، ص ٦٠-٦١ .

(٥١) خرج سابقاً ،ص٧.

(٥٢) ينظر :-حسام حميدة، في رحاب الاسلام،٥٩/٣ .

(٥٣) سورة المزمل ،الاية ٢٠ .

(٥٤) البخاري ،الصحيح، باب الشركة،١٧٦\٩، رقم ٢٤٨٦.

(٥٥) ينظر :- فيصل منصري،المجتمع الانساني من الكتاب والسنة،ط١،دار الفكر للطباعة، بيروت،٢٠٠٣م، ص١٩٥ .